بحث عام | قسم الدين وقضايا المجتمع الراهنة | 04 يوليو 2017

التّحوّلات الجنسانيّة في المغرب المعاصر: النّساء أنموذجًا

محمد الإدريسي
باحث مغربي

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2017
All rights reserved © 2017

التّحوّلات الجنسانيّة في المغرب المعاصر[1]:
النّساء أنموذجًا

[1] يُنشر هذا المقال بتعاون ومراجعة وتوجيه إبستيمولوجيّ ومنهجيّ من عالم الاجتماع المغربيّ الدّكتور: عبد الصّمد الدّيالمي، وأودّ - هنا - أن أحيّيه على رحابة صدره وتواضعه منقطع النّظير، وحسّه السّوسيولوجيّ الملتزم، ودعمه البنّاء للمشاريع البحثيّة المرتبطة بقضايا «الجنسانيّة المغربيّة والعربيّة المعاصرة».

ملخّص:

تهدف هذه الورقة إلى إبراز طبيعة الشّروط الموضوعيّة المؤطِّرة للتّحوّلات الجنسانيّة في المغرب المعاصر، وتنظر الورقة - في سبيل ذلك - في كون النّساء «فاعلٌ اجتماعيٌّ» أساسيٌّ في تحقيق الانتقال الجنسانيّ في المجتمع المغربيّ؛ أي أنّهن نسقٌ جوهريٌّ ضمن معادلة الانتقال الجنسيّ الّتي تحدّث عنها د. عبد الصّمد الدّيالمي، وتقترح الورقة ضرورة التّركيز على البنيات الموضوعيّة للمجتمع المغربيّ، في تفاعلها مع الشّروط الاجتماعيّة لإنتاج وإعادة إنتاج الفعل الجنسانيّ، باعتبارها محفّزًا أساسيًّا لعمليات صوغ الانتقال الجنسانيّ في الفضاء العامّ (الجامعة، الأسرة، ...)، وهي شواهد تستعرضها الورقة، وتوضح أنّ المغرب، كغيره من الدّول العربيّة، قد انخرط في المرحلة الثّانية من الانتقال الجنسيّ، وتقترح أنّ المرحلة الثّالثة ستشهد «دهرنة» اجتماعيّة للمعايير، كما السّلوكات الجنسيّة.

تمهيد:

تشكّل المسألة الجنسانيّة قضيّة جوهريّة ضمن نسق العلوم الاجتماعيّة، السّوسيولوجيا خاصّة، والأنثروبولوجيا، والتّاريخ الاجتماعيّ أيضًا، نظرًا إلى كونها تدخل ضمن دراسة سجل النّشاطات الفرديّة الخاصّة، وبالعودة إلى مجتمعاتنا العربيّة - الإسلاميّة، نجد أنّ الجنسانيّة قد احتلّت مكانة مركزيّة في تاريخ الإسلام؛ حيث كانت هناك مناقشات كثيرة، في البداية، حول الحريم، وتعدّد الزّوجات، وشروط النّكاح، وكانت كتب أبو نواس والشّيخ النفزاوي تعرف رواجًا وإقبالًا كبيرًا داخل المجتمعات، والبلدان العربيّة[1].

اليوم، أضحت القضايا المرتبطة بالجنس (sex)، والجنسانيّة (sexualité) في قلب النّقاشات الاجتماعيّة والسّياسيّة (العموميّة)، في سياق التّحولات القيميّة الّتي تعرفها معظم المجتمعات العربيّة؛ حيث تتعايش النّماذج الأوروبيّة، والأمريكيّة، والإسلاميّة، في سياق بيئة ثقافيّة متحوّلة، مع ذلك، لا يجب أن نعدّ كون المسألة الجنسيّة مقترنة في جوهرها بطبيعيّة المواجهة والصّراع الثّقافيّ والإيديولوجيّ - وأحيانًا الدّينيّ والقيميّ أيضًا - بين الشّرق والغرب[2]؛ بل تتجاوز «رمزيّة الحجاب» و«العفّة» نحو العلاقة التّصادميّة بين الخطاب الجنسيّ، والممارسة الجنسيّة في سياق مجتمعات متحوّلة.

في المجال العلميّ، خاصّة ضمن حقل العلوم الاجتماعيّة، ظلّت الظّاهرة الجنسيّة مستبعدة - إلى حدّ بعيد - من المجال التداولي والنّقاش العامّ العربيّ، على الرّغم من التّاريخ الغنيّ للأدبيّات الجنسانيّة العربيّة، وقد نُظر إلى الجنس، من منظور سياسيّ بالضّرورة، كحجر زاوية الاستقرار المجتمعيّ والسّياسيّ، وظلّت الأنظمة الشّموليّة العربيّة تتعامل - بكثير من الحيطة والحذر - مع المسألة الجنسيّة، في سياق البحث عن صيغة توافقيّة تجمع بين المرجعيّة الإسلاميّة ومتطلّبات الحداثة والعولمة، بالشّكل الّذي ساهم - بشكل كبير - في تعميق الهوّة بين الخطاب الفرديّ والجماعيّ، حول الجنس والممارسة الجنسانيّة الفعليّة.

أضحت المجتمعات العربيّة - من بينها المغرب - تعيش تحوّلًا حقيقيًا في مجال الجنسانيّة، من منظور طبيعة التّناقضات الحاصلة بين الفردانيّة والأخلاق الجمعاتيّة والمجتمعيّة، والمنظومة المحليانيّة والمنظومة الوطنيّة، وثقافة الشّرق وثقافة الغرب، وحيث الصّراع بين المنظور «الاستشراقيّ» (حياة جنسيّة خاصّة بالشّخصيّة العربيّة - الإسلاميّة، تُفسَّر انطلاقًا من النّصوص المقدّسة)، والمنظور الثّقافويّ (حالة علاقات جنسيّة خاصّة بالمغرب العربيّ)، والمنظور الأخلاقيّ (مجتمعات خاضعة لعنف الإسلام المتشدّد أو أُفسدت

1- لمزيد من التّفاصيل، انظر:

Abdelwahab BOUHDIBA, ***La sexualité en Islam***, Paris, PUF, 1975.

2- انظر:

Derek HOPWOOD, ***Sexual Encounters in the Middle- East***. The British, the French and the Arabs, Reading, Ithaca Press, 1999.

عن طريق الغرب)، ومنظور النّضال المدنيّ (الدّفاع عن الحرّيّات الشّخصيّة، حقوق المرأة، الإرشاد الإسلاميّ)[3]، بالشّكل الّذي يجوز الحديث معه عن «انفجار» جنسانيّ على المستوى الخطابيّ، كما الممارساتيّ.

من خلال هذه العناصر والمؤشّرات السّالفة الذّكر، تهدف هذه الورقة إلى إبراز طبيعة الشّروط الموضوعيّة المؤطّرة للتّحوّلات الجنسانيّة في المغرب المعاصر، وتنظر الورقة - في سبيل ذلك - تنظر الورقة إلى كون النّساء «فاعل اجتماعيّ» أساسيّ في تحقيق الانتقال الجنسانيّ في المجتمع المغربيّ؛ أي أنهنّ نسق جوهريّ ضمن معادلة الانتقال الجنسيّ الذاتي، تحدّث عنها د. عبد الصّمد الدّيالمي، وتقترح الورقة ضرورة التّركيز على البنيات الموضوعيّة للمجتمع المغربيّ، في تفاعلها مع الشّروط الاجتماعيّة لإنتاج وإعادة إنتاج الفعل الجنسانيّ، بعدّها محفّزًا أساسيًّا لعمليات صوغ الانتقال الجنسانيّ في الفضاء العامّ (الجامعة، الأسرة، ...إلخ)، وهي شواهد تستعرضها الورقة، وتوضّح أنّ المغرب، كغيره من الدّول العربيّة، قد انخرط في المرحلة الثّانية من الانتقال الجنسيّ، وتقترح أنّ المرحلة الثّالثة ستشهد «دهرنة» اجتماعيّة للمعايير، كما السّلوكيات الجنسيّة.

التّحوّلات الجنسانيّة «الكونيّة»: بين التّعدديّات الخطابيّة والخصوصيّات المحلّيّانيّة

تنامت النّقاشات العلميّة داخل الدّول العربيّة وباقي دول المعمورة - في الآونة الأخيرة - حول موضوع «التّحوّلات الجنسانيّة الكونيّة»، نظرًا إلى ما تشهده الإنسانيّة في الفترة المعاصرة من «طفرة» نوعيّة في بنية الظّاهرة الجنسانيّة[4]؛ حيث لم يعد ينظر للجنس أنّه عمليّة طبيعيّة ميكانيكيّة، هدفها التّكاثر والإنجاب، بقدر ما أصحبت (الجنسانيّة) نمطًا جديدًا للمتعة الإنسانيّة بفعل العولمة الكونيّة للجنس.

منذ الثّورة العلميّة الّتي أحدثها التّحليل النّفسيّ في مسار البحث النّفسيّ عامّة، والبحث الجنسانيّ خاصّة، أصبح العالم الاجتماعيّ[5] فضاءً لإنتاج مختلف التّصوّرات والتّمثّلات، والصّور، والمخيالات الاجتماعيّة والثّقافيّة والعلميّة، والسياسيّة والاقتصاديّة حول الجنس، وتطويرها، ويمكن رصد مختلف هذه التّحوّلات الّتي طرأت على الجنسانيّة العالميّة، ومن ضمنها الجنسانيّة المغربيّة، في التّركيز على «صورة الجنس داخل المجتمع»، أو «أثر الجنس في المجتمع»، لنستمع إلى صوت ميشيل فوكو:

3- Valérie Beaumont, Corinne Cauvin Verner et François Pouillon, « Sexualités au Maghreb », L'Année du M - ghreb, VI | 2010, p: 5.

4- انظر:

G. Balandier, 1984, « Le sexuel et le social. Lecture anthropologique », Paris, PUF,Les Cahiers internationaux de sociologie, 76, 1984, p.p 5- 19.

5- نستعمل- هنا- مفهوم العالم الاجتماعيّ (Le Monde Social)، كما ورد في التّوجيهات الإبستيمولوجيّة الّتي قدّمها بيير بورديو ضمن كتاب حرفة عالم اجتماع.

«بدلًا من الاهتمام المنتظم بإخفاء الجنس، بدلًا من الاحتشام العامّ المفرط للّغة، فإنّ ما يميّز هذه القرون الثّلاثة الأخيرة؛ هو التّنوّع، الانتشار الواضح للحيل الّتي تمّ اختراعها من أجل الكلام عنه، من أجل جعله معلنًا، من أجل حثّه على الكلام عن نفسه، من أجل الإصغاء إلى ..، وتسجيل، وتدوين وإعادة توزيع ما يقال عنه حول الجنس، ثمّة شبكة كاملة من التّحولات المتنوّعة، المحدّدة والقسريّ للخطاب، بدلًا من الرّقابة الهائلة، بدءًا بالخصائص اللّفظيّة المفروضة من قبل عصر العقل، فإنّ ما ينطوي عليه الأمر، إنّما كان تحريضًا منظّمًا ومتعدّد الأشكال على الخطاب»[6].

يظهر بجلاء أنّ سلطة الخطاب، الاجتماعيّ والثّقافيّ، حول الجنس، دائمًا ما تفشل في تحقيق غاياتها السّلطويّة والضّبطيّة، نظرًا إلى سيطرة، ما يسميه فوكو «بالفرضيّة الكبتيّة»، على جلّ الخطابات السّلطويّة حول الجنس، وفعاليّة قاعدة الرّغبة في الممنوع، استنادًا إلى ما توفّره لنا الذّات والتّاريخ والمحيط، من أشكال مختلفة لإنتاج «الجنسانيّة الخاصّة»، وإعادة إنتاجها.

تسعفنا هذه العلاقة، السّابقة الذّكر، في فهم الإنتاج العلميّ للجنس كجنسانيّة براكسيولوجيّة، وإرادة معرفيّة، ميّزت تاريخ التّفاعل الأوروبيّ الطّويل مع الظّاهرة، في مقابل التّفاعل الأدبيّ العربيّ مع الجنس كفنٍّ إيروتكيّ، وليس نسقًا علميًا واختباريًا موضوعيًا من جهة، ومن جهة أخرى؛ حصر الجنس في التّكاثر والإنجاب أكثر منه متعةً ولذّة.

وجب التّنبيه إلى أنّه رغم الوظيفة الإنجابيّة الّتي توصم بها المرأة داخل الثّقافة البطريكيّة العربيّة عمومًا، والمغربيّة على وجه الخصوص، فإنّ شرط الطّاقة الجنسانيّة الكامنة يظلّ الصّورة اللّاشعوريّة المسيطرة على العقليّات الذّكوريّة، بشكل يهدّد معه الموقع الجنسانيّ للرّجل– الفحل - باستمرار، وضمن هذا السّياق، وفي إطار المسلسل الكونيّ المستمرّ للعولمة الكوسموبوليانيّة، تثير الصّورة السّابقة العديد من الشّكوك في مدى استمراريّة فعاليّتها، في ظلّ مجتمع متحوّل ومتغيّر، يعرف ما يمكن وصفه بـ «الانفجار الجنسانيّ» (حسب تعبير عبد الصّمد الدّيالمي) المرتبط - أساسًا - بانفلات اجتماعيّ وعلائقيّ، ليس فقط للمرأة وحتى للرّجل، ما يمكن تسميّته بـ «سلطة الجنسانيّة الثّقافيّة اللّاشعوريّة».

انطلاقًا من هذه الإشارات العامّة، يمكننا أن نتساءل: ما هي أهمّ التّحوّلات الجنسانيّة الّتي تعيشها المرأة المغربيّة؟ وهل يتعلّق الأمر بثورة جنسانيّة نسائيّة[7]؟ أم أنّ الأمر لا يعدو أن يكون تحوّلًا طبيعيًا يساير البنية

6- Michel Foucault, **"The History of Sexuality"**, Volume 1: An Introduction, trans. Robert Hurley (New York: Random House), 1978, p 34.

7- انظر:

M Bozon, « ***À quel âge les femmes et les hommes commencent-ils leur vie sexuelle ? Comparaisons mondiales et évolutions récentes*** », Population et sociétés, n° 391, 2003, 4 p.

الثّقافيّة والاجتماعيّة المغربيّة عمومًا؟ وما هي تحديّات هذه التّحوّلات الجنسانيّة النّسويّة وأفقها بالنّسبة لموقع المرأة داخل المجتمعات المعاصرة؟

أوّلًا: المرأة المغربيّة والتّحوّلات الجنسانيّة الاجتماعيّة

انطلاقًا من الإشكال المرتبط برصد التّحوّلات الجنسانيّة الّتي تعيشها المرأة[8] المغربيّة، يمكن أن نركّز على حقول اجتماعيّة، تبدو لنا جدّ مترابطة: كالتّعليم، والمهن، والعمل الجنسيّ.

1 - المرأة وتحوّلات حقل التّعليم:

إذا أخذنا بعين الاعتبار الاستثمار المجتمعيّ في مجال تعليم المرأة في العقدين الأخيرين، نجد أنّ انفتاح النّساء على المدرسة (سواء النّظاميّة أو غير النّظاميّة)، أفرز نوعًا من صراع القيم بين المرجعيّات الإسلامويّة المحافظة، والمرجعيات الحداثيّة المعاصرة (ليس بالضّرورة صراعًا سلبيًّا)، صحيح أنّ هذه التّحوّلات الاجتماعيّة والثّقافيّة ضرورة حيويّة بالنّسبة إلى مختلف الأجيال، لكن وجب أن نشير إلى أنّه إذا كانت هذه التّحوّلات القيميّة تمسّ البنيات الموضوعيّة والشّروط الاجتماعيّة بشكل بسيط؛ فإنّه في الفترة المعاصرة اتّخذت مستويات أكثر ارتباطًا بالشّروط والبنيات الذّهنيّة الفرديّة، وعلى سبيل المثال؛ أصبح للنّساء موقف وشرط موضوعيّ خاصّ داخل الأسرة، فيما يتعلّق بالتّمدرس، اللّباس، العلاقة مع الجنس الآخر...، ما يحيل إلى نوع من الانتقال القيميّ المعاصر في طبيعة العلاقة بين المرأة والأسرة، ورفض الهيمنة والتّوجيه والخضوع للأسرة، حتّى أنّنا نتحدث - في بعض الأحيان - عن توجيه نسويّ للأسرة على المستوى الماديّ والقيميّ والتّنظيميّ، ويظهر الأمر حين يعجز الرّجل أو الأخ أو الأب عن توفير الاستقرار المادّيّ للأسرة، وتوجيهها بالنّموذج البطريريكيّ للسّلوك والتّعاملات، وفي سياق هذه الوضعيّة، يمكن أن نورد - هنا - التّحليل الّذي يقدّمه عالم الاجتماع المغربيّ عبد الصّمد الدّيالمي، في حديثه عن الانتقال الجنسيّ في المجتمع المغربيّ[9]؛ حيث يؤكّد أنّ المجتمع المغربيّ يعيش نوع من «الانفجار»[10]، والتّضخّم في مؤشّرات السّلوكيّات الجنسيّة (النّسويّة خصوصًا)، نظرًا إلى كون المعايير الجنسيّة محافظة وإسلامويّة، بينما السّلوكات متقدّمة ومنفتحة، لذلك كان ظهور أنساق ومرجعيّات قيّمة مستحدثة ومعاصرة، يدلّ على الصّراع السّوسيو - تاريخيّ بين الأجيال من جهة، والتّجلي السّوسيولوجيّ للانتقال القيميّ للمجتمع من النّسق القديم إلى النّسق المستحدث والمعاصر من جهة أخرى.

8- p Fargues , « ***La femme dans les pays arabes: vers une remise en cause du système patriarcal ?*** », Popul - tion et sociétés, n° 387, 2003, 4 p.

9- انظر: عبد الصّمد الدّيالمي، **الانتقال الجنسيّ في المغرب: نحو الحقّ في الجنس، في النّسب، والإجهاض**، الرّباط، دار الأمان، 2015م.

10- نستعير مفهوم "الانفجار" من د. عبد الصّمد الدّيالمي، كونه مفهومًا وصفيًّا [وليس تفسيريًّا] لتضخّم مؤشّرات السّلوكيّات الجنسيّة في المجتمع المغربيّ المعاصر.

2 ـ النّساء المغربيّات بين المجال المهنيّ والمجال المنزليّ:

نظرًا إلى ارتفاع نسب التّمدرس في صفوف النّساء، وارتفاع نسب النّساء حاملات الشّهادات الجامعيّة مقارنة دائمًا بالعقدين الماضيين، نرصد ارتفاع نسبة عَمَالة المرأة واختراقها لسوق الشغل[11]، بالتّالي، بروز نسق من الاستقلاليّة المادّيّة النّسائيّة، الأمر الّذي ينعكس على الشّروط الاجتماعيّة للموقع الاقتصاديّ والجنسيّ للمرأة داخل الأسرة والمجتمع المغربيّ المعاصر، فكيف يمكن تفسير هذا الوضع سوسيولوجيًا؟

بالعودة إلى عمل الدّكتور عبد الصّمد الدّيالمي[12]، نرصد أثر الموروث الثّقافيّ على بناء الهويّات الجنسانيّة للإنسان العربيّ، بين قطب المهَيمِن وقطب المهَيمَن عليه، الّذي أصبح يعرف تحوّل شموليّ مع بروز الشّغل كونه مؤشّرًا بنيويًا لانتقال الأدوار النّوعيّة وتبادلها داخل الأسرة والمجتمع.

يمكن أن نعزو الأمر إلى تداخل مجموعة من الشّروط الموضوعيّة المركّبة والشّموليّة الّتي نفسّر في ضوءَها هذه الظاهرة ـ ارتفاع نسب تمدرس الفتيات، عملهنّ، العولمة، وسائل الإعلام، ...، المرتبطة بالانسحاب التّدريجيّ للمرأة من عالم المنزل المنغلق، والأعمال المنزليّة الأنثويّة[13]، وإقبالها على العمل الوظيفيّ العامّ والخاصّ، نتيجة ارتفاع فرص عمل النّساء في بعض المجالات[14]، ما يحيل إلى بروز هامش كبير من الحرّيّة والاستقلاليّة المادّيّة والجنسيّة للمرأة، خارج الأسرة والمنزل، باسم مواكبة التّحولات العالميّة الّتي أفرزتها العولمة، وتحت ثقل اختراق المرأة للفضاءات العامّة، ونشير ـ في هذا الصّدد ـ إلى التّجربة التّونسيّة[15] الرّائدة في مجال تمكين المرأة من التّمدرس وولوج سوق الشّغل[16]، الّتي أبانت استعدادًا كبيرًا لدى النّساء لقلب الصّورة النّمطيّة الثّقافيّة المسوّقة عنهن، وإعادة إنتاج الشّروط الاجتماعيّة والبنى

11- انظر:

R. Bourqia , M. El Harras et D. Bensaïd , **Jeunesse estudiantine marocaine: valeurs et stratégies**, avec la collab. de Jamila Bennaghmouch, Rabat, Éditions de la Faculté des lettres et des sciences humaines, 1995.

M. El Ayadi , « **La femme dans le débat intellectuel au Maroc** »,Prologues: revue maghrébine du livre, hors série, n° 3, 2002, p. 9-38.

12- انظر: عبد الصمد الديالمي، «**سوسيولوجيا الجنسانية العربية**»، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت، ط: 1، 2009.

13- انظر:

R. Bourqia , M. Charrad & N. Gallagher (dir.), **Femmes, culture et société au Maghreb**, Casablanca, Éditions Afrique-Orient, 1996.

S. Naamane-Guessous, **Au-delà de toute pudeur: la sexualité féminine au Maroc**, Casablanca, Éditions Eddif, 1998.

14- على وجه التّحديد؛ المهن الخاصّة المقترنة بالتّسيير والمبيعات وشؤون المستهلكين والزّبائن، التي تزدهر في ضوء الاقتصاد الليبراليّ الجديد.

15- يمكن أن نشير ـ هنا ـ إلى أنّ المجتمع المغربيّ ينحو في نفس منحى التّجربة التّونسيّة في تعليم المرأة، وتمكينها من ولوج سوق الشّغل.

16- انظر: تقرير "واقع النّوع الاجتماعيّ في تونس"، المنجز من طرف الخبيرتان بثينة قريبع وجورجيا ديباول (GiorgiaDepaoli)، يونيو 2014م.

الموضوعيّة المحرّكة للعلاقة بين النّوعين، وللأطر المرجِعة المتحكّمة في وضع النّساء داخل المجتمع والثّقافة بشكلٍ عامّ.

يتّضح - ممّا سبق - أنّ الجنسانيّة النّسائيّة تعرف تحوّلًا بنيويًّا مقترنًا بارتفاع نسب تمدرس الفتيات، وتمكين المرأة من ولوج عالم الشّغل والمجالات العامّة، والتّحرّر، والاستقلاليّة الماديّة والاجتماعيّة للمرأة عن الأسرة والمجتمع والمؤسّسة الزّوجيّة في تفضيل العمل المهنيّ على العمل المنزليّ، ولو بنسب ودرجات متفاوتة، ورغم كون هذا التّحوّل لا يعطينا صورة عامّة وشاملة تنطبق على وضعيّة النّساء داخل المجتمع القرويّ مثل الحضريّ، لكن وجب أخذ هذه الشّروط الموضوعيّة بعين الاعتبار، في ظلّ الحديث عن أنّ الأفراد - عمومًا - أصبحوا يحملون تصوّرات وأفكار، تتّجه نحو التّحرّر والانفلات من النّظم والمعايير الاجتماعيّة المؤطّرة للجيل السّابق، وهو الأمر الّذي سيوضّحه لنا «تضخّم» الجنسانيّة النّسائيّة قبل - الزواجيّة[17].

3 - التّحوّلات الجنسانيّة: تضخّم الجنسانيّة النّسائيّة قبل الزّواجيّة:

لقد أصبح النّشاط الجنسيّ (للرّجال والنّساء) يتّجه - أكثر فأكثر - نحو الانفصال عن هدف الزّواج، ليخضع لأهداف أخرى، مثل: إشباع الرّغبة، تجسيد الحبّ، استهلاك متع الحياة، الحصول على خدمة، الهجرة، النّسيان، تأكيد الذّات، ...إلخ، أو ليصبح قيمة في حدّ ذاته (المتعة من أجل المتعة)[18].

وقد أظهر بحث ميدانيّ لعالمة الاجتماع المغربيّة سميّة نعمان جسوس[19] في فترة نهاية التّسعينيّات (بداية القرن الحادي والعشرين)، أنّ 65% من الفتيات اعترفن بأنهنّ مارسن الجنس مرّة واحدة - على الأقل - قبل الزّواج، وكما يشير الدّكتور عبد الصّمد الدّيالمي[20]؛ فإنّ الأمر لا يتعلّق دائمًا بممارسات جنسيّة كاملة، بقدر ما يتعلّق بـ «ممارسات جنسيّة بديلة» (جنس سطحيّ، فمويّ، شرجيّ، ...إلخ)، إضافة إلى بروز ظاهرة رتق البكارة وترميمها[21]، الّتي تلجأ إليها الفتيات في حالة فقدان البكارة الأصليّة، عبر عمليّات جراحيّة بسيطة يتأرجح ثمنها بين (60 - 500 دولارًا أمريكيًّا) في مدينتي الرّباط والدّار البيضاء[22].

17- عبد الصمد الديالمي، «**سوسيولوجيا الجنسانية العربية**»، مرجع سابق، ص: 31-35.

18- A. Dialmy, **Jeunesse, Sida et Islam au Maroc**, casablanca, 2000, pp: 80.

19- S. Naamane-Guessous, Au-delà de toute pudeur: la sexualité féminine au Maroc, op. cit, pp 44.

20- A. Dialmy, Jeunesse, Sida et Islam au Maroc, casablanca, 2000 op. cit.

21- انظر: محمد الإدريسيّ، **رتق وترميم البكارة في المجتمعات العربيّة**، مجلّة دلتا نون، عدد ربيع 2015، لندن.

22- انظر:

A. Dialmy, **Sexualité et Politique au Maroc**, FNUAP, inédit, 2000.

ورغم محدوديّة الأبحاث السّوسيولوجيّة المرتبطة بالجنسانيّة العربيّة قبل - الزّواجيّة عمومًا، إلّا أنّها لا تنفي وجود انفتاح جنسانيّ قبل - زواجيّ غير «بغائي» (غير مقترن بالعمل الجنسيّ)، نظرًا إلى بروز ما يمكن تسميته بـ«الاعتراف المجتمعيّ بالجنسانيّة قبل - الزّواجيّة النّسويّة»[23]، المرتبط بإقران الرّجال النّسائيّين (Feminist)، بين مجموعة من الألفاظ المتناقضة في القاموس الجنسيّ العربيّ الأبويّ التّقليديّ، وهكذا أصبح الحديث عن الفتاة (غير المتزوجة طبعًا) «الّتي تمارس الجنس بشكل معقول ومحترم»، كما بدؤوا ينعتون الفتاة المستقرّة جنسيًا بالفاضلة، وتشير هذه المواقف إلى أنّ الحبّ والإخلاص أصبحا عند أقليّة عربيّة– مغربيّة بشكل خاصّ - من القيم الّتي تعطي مشروعيّة اجتماعيّة للنّشاط الجنسيّ النّسويّ قبل الزّواج[24].

ثانيًا: المرأة المغربيّة: تحوّلات حقل العمل الجنسيّ

بعد أن عالجنا أهمّ التّحوّلات الجنسانيّة والاجتماعيّة المرتبطة بالنّساء المغربيّات، ننتقل إلى الحديث عن مؤشّر بنيويّ يعرف تحوّلات معاصرة جدّ مهمّة، يتعلّق الأمر بحقل العمل الجنسيّ؛ فما أهمّ تحوّلات حقل العمل الجنسيّ؟ وكيف يمكن موقَعَة تطوّر العمل الجنسيّ النّسائيّ في ارتباط بتطوّر العمل الجنسيّ الذّكوريّ في ضوء البحوث السّوسيولوجيّة المنجزَة؟

1 - التّحوّلات الجنسانيّة: العمل الجنسيّ أنموذجًا

2 - إنّ استعمال مصطلح «العمل الجنسيّ» يتقاطع - إبستيمولوجيًا - مع التّوصيفات العاميّة للمجتمع: العاهرة، البغي، الدّاعرة، نظرًا إلى ما تحمله من أبعاد قيميّة وأخلاقيّة، تصم المرأة الممارسة للجنس مقابل أجر، أو مقابل مادّة، وتساهم في عرقلة التّعامل الموضوعيّ للباحث مع الظّاهرة، والقطعية الإبستيمولوجية مع آراء الحسّ المشترك وأفكاره، في بحث سوسيولوجيّ ميدانيّ لعبد الصّمد الدّيالمي حول العمل الجنسيّ في المغرب[25]، نرصد نتائج جد مهمّة حول ارتفاع نسب الإقبال على العمل الجنسيّ، فإذا كانت العلاقات الجنسيّة تبدأ في سن الثّالثة عشر أو الرّابعة عشر، بالنّسبة إلى كلا الجنسين، فإنّها تظلّ - في كثير من الأحيان -

23- M Bozon, « ***Premier rapport sexuel, première relation: des passages attendus*** », in Bajos N., Bozon M. (dir), Enquête sur la sexualité en France. Pratiques, genre et santé, Paris, La Découverte, 2008, p. 117147-.

I Charpentier, ***« Virginité des filles et rapports sociaux de sexe dans quelques récits d'écrivaines marocaines contemporaines*** », Genre, sexualité & société, n° 3 Révolution /Libération, 2010.

24- عبد الصمد الديالمي، «**سوسيولوجيا الجنسانية العربية**»، مرجع سابق، ص 33

25- انظر:

A. Dialmy, Jeunesse, Sida et Islam au Maroc, casablanca, 2000 op. cit.

علاقات سطحيّة، وغير مكتملة، تحافظ على ما يسمّى بالبكارة الاتفاقيّة أو التّوافقيّة[26]، لذلك؛ يمكن أن نتحدّث عن أنّ التّعلم الجنسيّ (بالنّسبة إلى الفتيات) أصبح يتحرّر نسبيًا من اللّجوء إلى العاملة الجنسيّة، وفي نفس الوقت؛ بدأ التّعلم الجنسيّ ينفكّ نسبيًا عن إطار الزّواج بالنسبة إلى الفتاة، لأنّها لم تعد تنتظر الزّواج لتعيش تجربتها الجنسيّة الأولى[27]، لكن وجب الإشارة إلى أنّ كثيرًا من الشّبان عاجزون عن الحصول عن شريك جنسيّ، أو - حتّى في حالة الحصول عليه - لا تكون التّجربة الجنسيّة مكتملة ارتباطًا بانعدام الفضاء المناسب من جهة، وبهاجس الحفاظ على غشاء البكارة أو تجنّب حمل غير مرغوب فيه من جهة أخرى، لذلك؛ نجد أنّ الحصول على تجربة جنسيّة مكتملة وتعلميّة، لازال مقترنًا بالعاملة الجنسيّة (العالم القرويّ خصوصًا)[28].

يخلص هذا البحث إلى أنّ ما يعيشه المجتمع المغربيّ من تضخّم بنيويّ، اجتماعي وذهنيّ، للعمل الجنسيّ، لا يكمن في توظيف الجسد بقصد ضمان التّعلّم الجنسيّ، والإعالة الدّنيا الضّروريّة (رغم أنّ الفقهاء أباحوا ذلك)[29]؛ بل في الاستجابة العمياء لمطلب الاستهلاك السّائد، وفي إرادة الاغتناء أيًّا كانت الوسيلة[30]، إنّه استجابة لأزمة شغل.

3 - مؤشّرات العمل الجنسيّ في المغرب:

عرف العمل الجنسيّ في المغرب مجموعة من التّحوّلات السّوسيولوجيّة في العقدين الماضيين؛ حيث برز ما يمكن تسميته (العمل الجنسيّ الرّجوليّ)[31]، كمنافس قويّ للعمل الجنسيّ النّسويّ، الّذي يرتبط أساسًا بأسباب ماديّة، ويشكّل - أيضًا - غطاءًا للمثليّة الجنسيّة المقترنة باللّذة الجنسيّة المرفوضة اجتماعيًا وثقافيًا.

إنّ تطوّر هذا النّمط من العمل الجنسيّ، يقترن - أيضًا - بتحوّلات بنيويّة تخصّ مفهوم «الجنس» و«الجنسانيّة»، داخل فضاءات عامّة واجتماعيّة تعرف حركيّة فكريّة وإيديولوجيّة متماهية مع قيم «العلمنة»

26- يقسم عبد الصّمد الديالمي البكارة إلى نوعين:

بكارة توافقيّة: تعني أنّ الفتاة تعيش تجربة جنسيّة متنوّعة قبل الزّواج، مع الحفاظ على غشاء بكارتها.

بكارة دينيّة: تعني انعدام كلّ تجربة جنسيّة قبل الزّواج؛ أي عذريّة كاملة. انظر:

عبد الصّمد الديالمي، «**سوسيولوجيا الجنسانيّة العربيّة**»، مرجع سابق، ص ص 74- 75

27- عبد الصّمد الديالمي، «**سوسيولوجيا الجنسانيّة العربيّة**»، مرجع سابق، ص ص 54- 55

28- المرجع نفسه، ص 55

29- "هناك مجموعة من الفقهاء ورجال الدّين، حتّى العلماء المغاربة، (في إطار التّديّن الشّعبيّ والرّسميّ)، من يبيحون العمل الجنسيّ للمرأة، حين تنقطع سبل الحياة أمامها، خصوصًا، في مجموعة من المناطق القرويّة والحضريّة التي تعاني أزمة شغل وبطالة، جفاف، ...إلخ، على سبيل المثال: مدينة تغسالين، زاوية الشّيخ، بني ملال، بن أحمد، سطات، الفقيه بن صالح، سوق السبت، ...، خَلصتُ إلى هذه النّتيجة- في ظلّ غياب كلّيّ لدراسات علميّة جادّة وملتزمة، حول هذه الظّاهرة- اعتمادًا على الملاحظة بالمشاركة، مقابلات موجّهة، كما سير حياة مع مجموعة من ساكنة هذه المناطق في السّنوات السّتّ الأخيرة.

30- عبد الصّمد الدّيالمي، «**سوسيولوجيا الجنسانيّة العربيّة**»، مرجع سابق، ص 57

31- المرجع نفسه، ص ص 76- 95

و«اللّيبراليّة الجديدة»، يتعلّق الأمر بالجامعة كونها فضاء فكريًا وأكاديميًا تحوّل إلى «قلعة مصفّحة[32]»، لإنتاج الشّروط الاجتماعيّة والموضوعيّة والفكريّة لبنية الجنسانيّة المعاصرة[33].

أ ـ العمل الجنسيّ الذّكوريّ:

في ظلّ غياب دراسات سوسيولوجية حول تطوّر العمل الجنسيّ الرّجاليّ، يصعب تقديم تفسيرات عامّة حول الشّروط الموضوعيّة والاجتماعيّة الّتي تدفع الرّجال إلى اختيار العمل في مجال الجنس، أو حتّى إحصاءات حول نسب العمالة الجنسيّة الذّكوريّة، لكن يمكن الإشارة إلى أنّ المعطيات الميدانيّة الأوّليّة تبيّن لنا اقتران العمل الجنسيّ الذّكوريّ مع نساء الطّبقات العليا، دلالة على قلب موازين القوى الاجتماعيّة استنادًا إلى البعد المادّيّ، وبروز منافسة قويّة لعمّال الجنس المغاربة من طرف عمال جنس إفريقيا جنوب الصّحراء الموجودين في المغرب[34].

في ظلّ هذه التّحوّلات الجنسانيّة المعاصرة الّتي مسّت حقل العمل الجنسيّ، يمكن الحديث عن تغيّر في تمثّل الرّجل لجسده، فبعدّه أداة جنسيّة، أصبح جسد الرّجل ـ بدوره ـ منجمَ متعة جنسيّة، ورأس مال يوظّف في السّوق الجنسيّة من أجل تحقيق مكاسب مادّيّة، وأصبح الجسد سلعة جنسيّة قابلة للبيع والشّراء[35]، والعمل الجنسيّ الذّكوريّ ـ كما أشرنا سابقًا ـ مقترن بشكل كبير بالعامل المادّيّ والاقتصاديّ، ففيما مضى كان الشّباب المغاربة يحلمون بالهجرة إلى الغرب من أجل اقتناص المتع الجنسيّة، اليوم، نشاهد العكس؛ الشّاب يجعل من قدراته الجنسيّة وسيلة للهجرة[36]، ويتحوّل البحث عن الهجرة ـ بفضل الجنس ـ إلى بداية الوقوع في العمل الجنسيّ.

في بحث وطنيّ ـ كميّ وكيفيّ ـ شمل مجموعة من المدن المغربيّة، حول الصّحّة الإنجابيّة والهويّة الرّجوليّة[37]، خلص الباحثون إلى كون التّعامل الاجتماعيّ والثّقافيّ مع العمل الجنسيّ المثليّ، أصبح ـنسبيًا ـ أكثر تفهّمًا ومرونة، لأنّه يدرَك ـ كونه عملًا جنسيًا ـ يبحث بالرّجل عن كسب لقمة عيشه أكثر ممّا يدرك

32- نستعير هنا مفهوم علي شريعتي.

33- يتعلّق الأمر بجامعات مدن: فاس، وجدّة، الرّباط، الدّار البيضاء، مراكش، الجديدة، أكادير، تطوان، ويتعلّق، أيضًا، بمدارس البعثات الأجنبيّة في المغرب: الجديدة، الدّار البيضاء، الرباط (اعتمادًا على معطيات البحث الميدانيّ).

34- تحتاج هذه النّقطة إلى دراسات سوسيولوجيّة معمقة، خاصّة، في مجموعة من المدن المغربيّة: الجديدة، الدّار البيضاء، الرّباط، فاس، جدّة، طنجة.

35- انظر: مقابلة أجريت مع الدّكتور عبد الصّمد الدّيالمي، الأسبوعيّة الجديدة، عدد 14 نيسان/أبريل 2007

36- عبد الصّمد الدّيالمي، «**سوسيولوجيا الجنسانيّة العربيّة**»، مرجع سابق، ص 77

37- انظر:

Dialmy. A (2000) Identité Masculine et Santé Reproductive au Maroc, LCPS/MERC (Beyrouth)/ Ministère de la Santé/USAID, Décembre 1999-Septembre 2000 (sous presses).

الشّاذّ؛ حيث يقال: إنّه يضطر إلى عرض جسده بسبب انعدام فرص الشّغل، وإنّه يضحّي من أجل إعالة نفسه وأسرته[38]، على عكس الجنسانيّة المثليّة «النّفسيّة» الّتي توصم أخلاقيًا بأنّها (فعل لارجوليّ»، ولا إنسانيّ (ثقافيّ) أحيانًا.

ب ـ الجامعة والتّحوّلات الجنسانيّة المعاصرة:

يعتقد البعض أنّنا نقحم الجامعة ـ المؤسسة العلميّة والأكاديميّة البحثيّة ـ في الشّروط الموضوعيّة والاجتماعيّة للتّحوّلات الجنسانيّة في المغرب المعاصر، لكنّ النّهج الميتودولوجيّ والكشف الميدانيّ يسعفنا في فهم الجامعة، بأنّها حجر الزّاوية الأساسيّ في مسلسل هذه التّحوّلات، إذا أخذنا بعين الاعتبار – كما أشرنا سابقًا ـ موقع المرأة داخل الجامعة، وارتفاع نسب التّمدرس الجامعيّ للنّساء، وولوجهن المهن الجامعيّة، ورغم هذه الخلاصة العامّة، إلّا أنّنا نجد مجموعة من الخلاصات الجزئيّة الّتي وجب رصدها، وتدقيق النّظر السّوسيولوجيّ فيها بكلّ جدّيّة علميّة، من بين هذه الخلاصات؛ نجد أنّ الجامعات والمعاهد العليا أصبحت فضاءً عامًا ومشتركًا وحيويًا لتطوّر «الجنسانيّة المعلمنة» من جهة، والعمل الجنسيّ النّسويّ والذّكوريّ من جهة أخرى[39]، وأظهرت الدّراسات ـ الآنفة الذّكر[40] ـ أنّ العمل الجنسيّ أصبح سلوكًا دائمًا أو ظرفيًا، يشمل الفتيان كما الفتيات، التّلميذات كما الطّالبات، إلى درجة الحديث عمّا يسمّى «اقتصاد العمل الجنسيّ (المعاشيّ والمحلّيّ)»، ومنه؛ يمكن عدّ الجامعة جزءًا أساسيًا من هذا الاقتصاد المتنامي، وفي ظلّ غياب السّياسات التّنمويّة المستدامة، وضعف المستوى الاقتصاديّ للطّلبة (إناثًا وذكورًا) وأسرهم، أصبح ـ إذن ـ العمل الجنسيّ وسيلةً وأداةً للعيش ومواجهة الفقر، وفي بعض الحالات الّتي تتكاثر باستمرار، أصبح كِرَاءُ الجسد أداة للاستهلاك والتّمتّع واللّهو والظّهور بمظهر الغنى[41]، ولا يشعر هؤلاء الطّلبة والطّالبات ـ طبعًا ـ بالانتماء إلى عالم العمل الجنسيّ، ولا يعترفن بأنفسهم كعمّال جنس، إمّا لربطهم بين الجنس وتجسيد الحب،

38- انظر: عبد الصّمد الدّيالمي، العمل الجنسيّ الرّجاليّ، مرجع سابق.

39- بالخصوص: جامعة شعيب الدّكالي (والكليّات التّابعة لها: كليّة الآداب- كليّة العلوم- والمدرسة العليا للتّجارة والتّسيير على وجه أخصّ)، ومدرسة شاركوت [التابعة للسّفارة الفرنسيّة في المغرب]، الملاك الأزرق في مدينة الجديدة، جامعة سيدي محمّد بن عبد الله في فاس (كليّة الآداب ظهر المهراز وفاس سايس)، (استنادا إلى معطيات البحث الميدانيّ).

40- انظر الأعمال الآتية:

A. Dialmy, Identité Masculine et Santé Reproductive au Maroc, LCPS/MERC (Beyrouth)/ Ministère de la Santé/ USAID, Décembre 1999-Septembre 2000.

عبد الصّمد الدّيالمي، العمل الجنسي الرّجاليّ، مرجع سابق.

عبد الصّمد الدّيالمي، «**سوسيولوجيا الجنسانيّة العربيّة**»، مرجع سابق.

41- المرجع نفسه، ص 30

تبلور الإنسان، استهلاك المتع الحياتيّة، إرادة علمنة الجنس، ...إلخ، أو لأنّهم يعدّون العمل الجنسيّ غير مقترن بالبغاء بصوره الاجتماعيّة والثّقافيّة[42].

في بحث ميدانيّ حول «تصوّرات المراهقين للحياة الجنسيّة»[43]، يرصد الباحث نوعًا من «الطّلاق» بين السلوكات الجنسيّة والمعايير الجنسيّة، ويسجّل أنّ السلوكيات والممارسات الجنسيّة لدى النّساء أصبحت منفتحة، ومعلمنة، وغير دينيّة، بينما المعايير ظلّت دينيّة، إسلامويّة، تقليدانيّة، تستمدّ أسسها من مرجعيّات دينيّة، وهو ما يؤكّد نظريّة الانتقال الجنسيّ الّتي بلورها - كما أسلفنا الذّكر - د. عبد الصّمد الدّيالمي، ويمكن قراءة هذا الواقع الجنسانيّ المعاصر في ضوء بروز مفهوم المراهقة

كونها مرحلة انتقاليّة بين الطّفولة وسنّ الرّشد، وطول مدّة الإطمساك الجنسيّ بين فترة البلوغ وفترة الزّواج، فإذا كان معدّل سنّ الزّواج بالنّسبة إلى الفتاة المغربيّة، هو: «(17,3 سنة) في سنة 1960، فإنّه أصبح (26,4 سنة) في سنة 1998، وحوالي (28 سنة) في سنة 2004، و(31 سنة) في سنة 2015»[44].

إنّ ارتفاع نسب العزوبة وطول مدّتها، من جهة، والطّلاق بين الممارسات والسّلوكيات الجنسيّة والمعايير الجنسيّة من جهة أخرى، لا يعنيان أنّ هناك إمساك جنسيّ بين الشّباب بالضّرورة، قطيعة مع مؤسّسة الزّواج أو فقدان لمصداقيتها، نظرًا إلى كون الزّواج يظلّ الهدف الأساسيّ في حياة أكثر من 98% من الشّباب المغاربة[45]، النّساء خاصّة، لكنّه اقترن بالجنس والممارسات والسّلوكيات الجنسيّة - قبل الزّواجيّة - كونه رهانًا استراتيجيًا من أجل الزّواج[46]، في إطار مرحلة الانتقال الجنسيّ الّتي يعيشها المجتمع المغربيّ.

42- في إطار بحث ميدانيّ حول العمل الجنسيّ النّسويّ والسّيدا في مدينة السّعيديّة (المغرب)، رصدنا الفصل الموضوعيّ لعاملات الجنس بين العمل الجنسيّ والبغاء، في مطالبتهنّ بضرورة تقنين العمل الجنسيّ، وسحب الصّورة السّلبيّة المروّجة عنهن، الذي تجمله تصريحاتهنّ: "نحن لسنا بغايا (عاهرات)، نحن عاملات جنس" (قيد النّشر).

43- انظر: محمد الإدريسي، "تصوّرات المراهقين للحياة الجنسيّة: ملاحظات حول التّنمية الجنسانيّة المغربيّة المعاصرة"، نشر بمجلة إضافات (المجلّة العربيّة لعلم الاجتماع)، العددان 26- 27، ربيع وصيف 2014، ص ص 224- 233

44- عبد الصّمد الدّيالمي، «**سوسيولوجيا الجنسانيّة العربيّة**»، مرجع سابق، ص 25

45- المرجع نفسه، ص 26

46- أقصد بالقول: "الجنس رهان إستراتيجيّ" من أجل الزّواج؛ أنّ المرحلة الانتقاليّة الّتي يعيشها المغرب في المجال الجنسيّ، الّتي أفرزت طلاقًا بين المعايير الجنسيّة والممارسات الجنسيّة، أنتجت نوعًا من "الانتقال الذّهنيّ" في تصوّر مفهوم الزّواج؛ حيث إنّ الزّواج المعاصر أصبح مقترنًا بجنسانيّة قبل-زواجيّة تعبيرًا عن تجلّي المتعة، وتبلور العلمنة الصّامتة المقنعة، باسم ممارسة الجنس من أجل الزّواج (في صفوف النّساء خاصّة)؛ أي إرادة المتعة والعلمنة الجنسيّة باسم البحث عن الزّوج (الأمر أشبه بـ"حيلة الضّحيّة" [من النّاحية الأنثروبولوجيّة] المقترنة بظاهرة رتق البكارة).

خلاصة: رهانات الانتقال الجنسيّ في المغرب المعاصر:

سيتبادر إلى ذهن القارئ المتفحّص لهذا الرّصد السّوسيولوجيّ لطبيعة التّحولات الجنسانيّة عند فئة النّساء، كون الأمر يتعلّق «بِمرحلة انتقاليّة»[47] تعيشها النّساء المغربيّات خاصّة، والمجتمع المغربيّ بشكل عامّ، تتّسم بالقطيعة والطّلاق الموضوعيّ بين المعايير والقيم الجنسانيّة من جهة، والسّلوكيات الجنسانيّة المتحرّرة من جهة أخرى، فكيف يمكن أن نفسّر هذا الوضع؟ وما دلالاته؟

ما من شكّ في أنّ المجتمع المغربيّ يمرّ بمرحلة انتقاليّة؛ أي لا تطابق المعايير والسّلوكيات الجنسانيّة، الأمر الّذي يعكس التّعايش الرّاهن بين مختلف التّوجّهات والأنساق القيميّة والمعياريّة، الدّينيّة وغير الدّينيّة، التّقليدانيّة والحداثيّة، ما يحيلنا إلى وجود ثلاثة أنماط من التّوجّهات المجتمعيّة الكبرى المرتبطة بالقضيّة الجنسانيّة المعاصرة.

أوّلا: هناك قيم ومعايير وسلوكيات وممارسات جنسانيّة متشبّثة بالمرجعيّة والهويّة الدّينيّة الإسلاميّة، تستمدّ جذورها من «إسلامويّة الدّولة المغربيّة»، وتبنّيها لنمط السّلطة والمشروعيّة التّقليدانيّة في الحكم (إمارة المؤمنين)، لكن هذه المعايير والسّلوكيّات الدّينيّة لا تتطابق مع الواقع السّوسيو - تاريخيّ والثّقافيّ المغربيّ المتغيّر، وتتصادم مع الهويّة الجنسانيّة الجديدة للشّباب، الّتي تتّجه نحو القطيعة مع كلّ التّوجيهات الاجتماعيّة والتّيولوجيّة التّقليدانيّة، فيما يخصّ المطالب الجنسانيّة.

ثانيًا: هناك معالم تبلور وتطوّر نسق جنسانيّ جديد، نسق حداثيّ تقدميّ، يفكّ الارتباط السّوسيو - ثقافيّ بين الجنسانيّة والبطريركيّة، وبين الجنسانيّة والزّواج، ويعمل على المطالبة بالحق الاجتماعيّ والثّقافيّ في الجنس، في إطار سياسات معولمة - شيئًا فشيئًا - تثور في وجه المرجعيّات الفقهيّة والإسلامويّة التّيولوجيّة المحافظة.

ثالثًا: وجب أن نشير إلى وجود تيّار فكريّ وإيديولوجيّ ثالث، يجمع بين النّموذجين الجنسانيّين - الأوّل والثاني - معًا، متأثّرًا بالمرجعيّات الدّينيّة الإسلامويّة والمسيحيّة واليهوديّة، والمرجعيّات العلمانيّة والدّهرانيّة والدّنيانيّة في نفس الوقت، في إطار نمط جديد من «تعايش المتناقضات»، واستمالة مختلف الطّبقات والشّرائح الاجتماعيّة نحو مشروع مجتمعيّ «إسلامويّ - تقدميّ، تيولوجيّ - علمانيّ»، هو - في الواقع - نوع جديد من «الإسلامويّة المقنعة» (منطق انتهازيّ).

47- عبد الصّمد الدّيالمي، **الانتقال الجنسيّ في المغرب: نحو الحقّ في الجنس، في النّسب وفي الإجهاض**، مرجع سابق.

في ظلّ هذا التّصنيف الثّلاثيّ للتّوجّهات المجتمعيّة الكبرى، المرتبطة بالقضية الجنسانيّة المعاصرة، والقراءة السوسيولوجية للجنسانيّة المغربيّة المعاصرة، ما التّوجّهات الأساسيّة الواجب التّفكير فيها لرسم معالم مشروع علميّ لدراسة الجنسانيّة المغربيّة والعربيّة؟

***

نعتقد - بشكل موضوعيّ - أنّ المغاربة يسهمون في إنتاج المشهد الجنسانيّ الانتقاليّ في المغرب المعاصر، في إخراجه، واستغلاله، وتنميته، وينتفع منه نساء ورجال، حضريين وقرويّين، طبقات عليا وطبقات دنيا، من دون أدنى مواكبة علميّة - جادّة وملتزمة - من طرف العلوم الاجتماعيّة العربيّة المعاصرة، أو على الأقل، مواكبة ضعيفة، لذلك؛ ستكون **أوّل** توصية نقدمها: هي العمل على تبنّي استراتيجيّات علميّة موضوعيّة وملتزمة لمواكبة تحوّلات الحقل الجنسانيّ في العالم العربيّ، تحوّلًا يخدم رهان تنمية الوعي بالوحدة - الفكريّة والعلميّة - العربيّة، ويعزّز وحدة الوعي الفكريّ والعلميّ العربيّ.

ثانيًا: الارتقاء بالنّقاشات العامّة حول الظّاهرة الجنسانيّة؛ من المستوى الاجتماعيّ والسياسيّ إلى مستوى وعي الفاعل «العلميّ» (الجماعات العلميّة المتخصّصة، بضرورة رفع الوصاية الإسلاميّة والفقهيّة التّيولوجيّة عن الظّاهرة الجنسيّة، وجعلها مجالًا للدّراسة العلميّة والموضوعيّة الملتزمة.

ثالثًا: تنمية الوعي المجتمعيّ - العامّ والخاصّ - بالأمراض المنقولة جنسيًّا وتطويره، والحرص على الدّفع بقاطرة البحوث الاجتماعيّة إلى التّفاعل - تفاعلًا نقديًّا وبنّاءً - مع الدّراسات العلميّة المتخصّصة بما يخدم رهان تنمية العلوم الاجتماعيّة في الوطن العربيّ.

رابعًا: الوعي العلميّ بكون الظّاهرة الجنسانيّة المغربيّة– والعربيّة - المعاصرة، تتفاعل، بشكل أو بآخر، مع مختلف المجالات السّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والثّقافيّة، بأنّها حلّ شرطيّ وموضوعيّ لتعزيز قوّة الجماعات العلميّة في العالم العربيّ.

المراجع:

- بثينة قريبع وجورجيا ديباول (Giorgia Depaoli)، «**واقع النّوع الاجتماعيّ في تونس**»، يونيو 2014م، تقرير صادر عن الاتّحاد الأوروبيّ.

- عبد الصّمد الدّيالمي، **الانتقال الجنسيّ في المغرب: نحو الحقّ في الجنس، في النّسب وفي الإجهاض**، الرّباط، دار الأمان، 2015م.

- عبد الصّمد الدّيالمي، **سوسيولوجيا الجنسانيّة العربيّة**، دار الطّليعة للطّباعة والنّشر، بيروت، ط 1، 2009م.

- عبد الصّمد الدّيالمي، **العمل الجنسيّ الرّجاليّ**، الأسبوعيّة الجديدة، عدد 14 نيسان/ أبريل 2007م.

- محمّد الإدريسي، **رتق وترميم البكارة بالمجتمعات العربيّة: أوّليّات التّمكّن الإبستيمولوجيّ**، مجلّة دلتا نون، لندن، العدد 2، ربيع 2015م.

- محمّد الإدريسي، «**تصوّرات المراهقين للحياة الجنسيّة: ملاحظات حول التّنمية الجنسانيّة المغربيّة المعاصرة**»، مجلّة إضافات (المجلّة العربيّة في علم الاجتماع)، العددان 26 - 27، ربيع وصيف 2014م، ص ص 224 - 233

- Abdelwahab BOUHDIBA, ***La sexualité en Islam***, Paris, PUF, 1975.

- A. Dialmy, **Jeunesse, Sida et Islam au Maroc**, casablanca, 2000.

- A. Dialmy, **Sexualité et Politique au Maroc**, FNUAP, inédit, 2000.

- A. Dialmy, **Identité Masculine et Santé Reproductive au Maroc**, LCPS/ MERC (Beyrouth)/ Ministère de la Santé/USAID, Décembre, Septembre1999 - 2000.

- Derek HOPWOOD, ***Sexual Encounters in the Middle - East***. The British, the French and the Arabs, Reading, Ithaca Press, 1999.

- I Charpentier, ***«Virginité des filles et rapports sociaux de sexe dans quelques récits d'écrivaines marocaines contemporaines***», Genre, sexualité & société, n° 3 Révolution /Libération, 2010.

- G. Balandier, 1984, «Le sexuel et le social. Lecture anthropologique», Paris, PUF,Les Cahiers internationaux de sociologie, 76, 1984, p p 5 - 19.

- M Bozon, «Premier rapport sexuel, première relation: des passages attendus», in Bajos N., Bozon M. (dir), Enquête sur la sexualité en France. Pratiques, genre et santé, Paris, La Découverte, 2008, p p 117 - 147.

- M Bozon, «À quel âge les femmes et les hommes commencent - ils leur vie sexuelle ? Comparaisons mondiales et évolutions récentes », Population et sociétés, n° 391, 2003, 4 p.

- M. El Ayadi, « **La femme dans le débat intellectuel au Maroc** »,Prologues: revue maghrébine du livre, hors série, n° 3, 2002, p. 9 - 38.

- M. Foucault, **The History of Sexuality**, Volume 1: An Introduction, trans. Robert Hurley (New York: Random House), 1978.

- p Fargues , « ***La femme dans les pays arabes: vers une remise en cause du système patriarcal ? »***, Population et sociétés, n° 387, 2003, 4 p.

- R. Bourqia , M. Charrad & N. Gallagher (dir.), **Femmes, culture et société au Maghreb**, Casablanca, Éditions Afrique - Orient, 1996.

- R. Bourqia , M. El Harras et D. Bensaïd, **Jeunesse estudiantine marocaine: valeurs et stratégies**, avec la collab. de Jamila Bennaghmouch, Rabat, Éditions de la Faculté des lettres et des sciences humaines, 1995.

- S. Naamane - Guessous, **Au - delà de toute pudeur: la sexualité féminine au Maroc**, Casablanca, Éditions Eddif, 1998.

- Valérie Beaumont, Corinne Cauvin Verner et François Pouillon, «Sexualités au Maghreb», L'Année du Maghreb, VI | 2010, p 5.

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

الرباط – أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : 54 99 77 537 212+

الفاكس : 27 88 77 537 212+

info@mominoun.com

www.mominoun.com

All rights reserved © 2017

جميع الحقوق محفوظة © 2017